حقوق الإنسان عند الغرب

الثلاثاء 16 أغسطس 2016 03:08 م

كتب: مجدي مغيرة

بقلم : مجدي مغيرة

منذ كتابات أفلاطون الذي مات في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد وحتى الآن تجد كتابات المفكرين الغربيين حينما يتحدثون عن حقوق الإنسان وهم يقصرونها على الإنسان الغربي فقط ، أما غيره من الأجناس الأخرى غير الغربية ، فهم عبيد لاحقوق لهم ، لامانع من استغلالهم أسوأ استغلال ، وامتصاص خيراتهم ، بل وقتلهم وإبادتهم إن اقتضى الأمر ذلك ، وخير مثال على ذلك تلك الإبادة البشعة التي نصبوها للهنود الحمر في الأمريكتين بعد وصول الغربيين إليها .

كنا قد ظننا أن هذا الأمر قد انتهى بنهاية فترة الاستعمار ، ولكننا اكتشفنا على وقع نزيف الدم في مختلف بلاد العرب والمسلمين أن الغرب هو كما هو لم يتغير ، وما زال جلده هو كما هو لم يتبدل ، وعقله هو كما هو لايعجب إلا بنفسه ، وعواطفه هي كما هي لاتحترم غير الغربي ، وتنظر إليه باحتقار واستكبار .

الغرب لايعنيه أبدا دماءٌ مسفوكة طالما كانت غير غربية ، لايعنيه أبدا حقوقٌ مهدورة مادام أصحابها غير غربيين ، لايعنيه أبدا إبادةٌ ولا جرائمُ حرب ولا جرائمُ ضد الإنسانية مادامت لاتمس أحداً ذا دماء غربية ، ومادامت بعيدة عن مصالحهم ، ولا تمثل أيَّ خطر عليها ....قد يعنيه ذلك في حالة واحدة فقط ، وذلك حينما يريد أن يتخلص من حاكمٍ مَّا يمثل خطرا عليه لتجاوزه الحدود التي لايسمحون لأحد بتخطيها ، حينئذ ينكرون عليه جرائمه ، ليس دفاعا عن الإنسانية ، بل وسيلة ماكرة للتخلص منه ، واستبدالا له بمن هو أسوأ منه حتى تبقى مصالحهم في أمنٍ وأمان ، وما رأسُ صدام حسين منا ببعيد .

حينما ينادي الغربُ بالديمقراطية ؛ فإنما ينادي بها حتى تأتي بزعماء ظاهرهم الوطنية والحرص على نهضة البلاد وانتشالها من وهدة الفقر والاستبداد ، وباطنهم العمالة والدونية وحرصهم على أن تبقى البلاد كما هي مصدرا للمواد الخام التي تحتاجها مصانعُ الغرب ، والنفط الخام الذي يدير مصانعَ الغرب ، وممراً برياً وبحرياً وجوياً لمواصلات الغرب وسفن الغرب وطائرات الغرب وأخيرا كي تعيشَ إسرائيلُ آمنةً مطمئنةً لايقلق راحتَها "حماسٌ" أو غيرُ حماس .

فإذا ما أتت الديمقراطية بغير ما يريدون ، وبمن لايحبون ؛ حينئذٍ يكشرون عن أنيابهم ، وتظهر حقيقتهم ، فتراهم يمدون المنقلبين من عساكر وغير عساكر بأدوات القمع اللازمة ، وبالأموال اللازمة ، ويذرون بعض الرماد في العيون ، باستنكار إسراف الانقلابيين في القتل والاعتقال ، ثم يزعمون كاذبين أنهم مضطرون - حرصا على مصالحهم - للتعامل مع الانقلابيين رغم قسوتهم ودمويتهم واضطهادهم لشعوبهم .

رأينا ذلك في الانقلاب العسكري الذي دبروه ضد محمد مصدق رئيس الوزراء الإيراني في عام 1953م ، وضد محمد نجيب عام 1954م في مصر حينما أراد إعادة الحياة النيابية إلى مصر وفي الانقلاب العسكري على العملية الديمقراطية في الجزائر عام 1992م ، ورأينا ذلك حينما فازت "حماس" بانتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني عام 2006م فرفضوا الاعتراف بحكومتها ، وأطلقوا العنان لعملائهم الفلسطينيين لإبادة حركة "حماس" ، ولما أرادت "حماس" أن تدافع عن نفسها اعتبروها حركة انقلابية إرهابية .

ورأينا ذلك أيضا بعد أحداث الربيع العربي الذي انطلق في عام 2011م ، في تعاونهم مع الضابط الليبي خليفة حفتر في سعيه لعمل انقلاب عسكري في ليبيا ضد حكومة ما بعد الثورة التي اختارها الشعب الليبي اختيارا حرا ، ورأينا ذلك فيما فعلوه باليمن وسوريا .

ورأيناه رأي العين فيما فعلوه بالدكتور محمد مرسي وبالإخوان المسلمين ، وبكل من أراد أن تحيا مصر حياة ديمقراطية حرة بعيدة عن

ضغوط الغرب أو الخضوع لرغباته .

ورأيناه أخيرا في انقلاب تركيا الفاشل ، إذ كانت تصريحاتهم أقرب ميلا إلى الانقلاب منها إلى الحكومة الديمقراطية المنتخبة ، وما إن تأكدوا من فشل الانقلاب حتى رأينا تصريحاتهم التي تنادي بضرورة الرفق بالمنقلبين الذين قتلوا من المدنيين ماقتلوا ، وخرَّبوا من المنشآت ما خرَّبوا ، وأرادوا إحداث مجزرة بشعة في الشعب التركي حتى ييأس تماما من الحياة الديمقراطية الحرة .

ما يسميه الغرب بحقوق الإنسان إن هو إلا قناع كاذب خادع يستخدمونه وقت الضرورة ، وما أروع قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي – رحمه الله – حين قال في قصيدته :

بَرَزَ الثعلبُ يوماً في ثياب الواعظينا
فمشى في الأرض يهذي ويسبُّ الماكرينا
ويقول : الحمدلله إله العالمينا
ياعبادَ الله توبوا فهو كهف التائبينا
وازهدوا في الطير إن العيش عيش الزاهدينا
واطلبوا الديكَ يؤَذِّنْ لصلاة الصبح فينا
فأتى الديكَ رسولٌ من إمام الناسكينا
عَرَض الأمرَ عليه ورجــاه أن يلينا
فأجاب الديكُ : عذراً يا أضلّ المهتدينا
بلّغ الثعلبَ عني عن جدودي الصالحينا
عن ذوي التيجان ممن دخلَ البطنَ اللعينا
أنهم قالوا وخيرُ القولِ قولُ العارفينا
مخطئٌ من ظنّ يوماً أنّ للثعلبِ دينا

المقال يعبر عن رأي كاتبه ولا يعبر بالضرورة عن رأي نافذة مصر